

مُوسى عليه السلام؛ حتى قال: يا محمد! إِنَّمَا حَمْسُ صَلَواتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلِيَلَةً، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرَ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً»، اللهم لك الحمد! خمس صلوات، وكل صلاة عن عشر صلوات، فيكون الجميع خمسين صلاة، لكل صلاة عشر حسنات؛ لأن الحسنة عشر أمثاها؛ إلى سبع مئة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وليس التضعيف أن تكون الواحدة عشر، وليس هو التضعيف المعروف: كل حسنة عشر أمثاها؛ بل هذا يعتبر كأن الإنسان صلَّى خمسين صلاة بالفعل، ولذلك قال سبحانه وتعالى: «خَمْسُ صَلَواتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلِيَلَةً، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرَ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً»؛ قال: (خمسون صلاة)، وليس: (خمسون ثواب صلاة).

وقوله: «وَمَنْ هُمْ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلُهَا كُتُبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتُبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلُهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتُبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً» فالحسنة تكتب بعشر حسنات، والسيئة بواحدة، فإن لم يعملاها، فهنا يقول: لم تكتب شيئاً، وقد سبق أنها تكتب حسنة كاملة، لكن ما سبق فيه التعليل، وهو قوله: «إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَائِي» أي: من أجلِي، وقد سبق التفصيل في ذلك، وبينَ أن تارك السيئة له أحوال^(١).

ثم قال صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَنَزَّلْتُ حَتَّى انتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّحْخِيفَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيِي مِنْهُ».

وهذا الحديث دليل على فوائد كثيرة جمة:

١ - منها: بيان قدرة الله عز وجل.

(١) انظر: (ص: ٣٨٢).

٢- ومنها: إكرام الله تعالى لنبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣- قوة جأش الرسول عليه الصلاة والسلام، وقوة قلبه، فإن الله سبحانه وتعالى أسرى به، وعرج به، وأزأه الآيات العظيمة، ومع ذلك ما كذب الفوادُ ما رأى، وما زاغ البصر وما طغى، فكان على كمال الثبات، وعلى كمال الأدب، حتى بصره لا ينظر يميناً ولا يساراً.

والعادة من البشر أنه إذا جاء شيئاً مستغرباً يتلفت، ينظر يميناً ويساراً، لكن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان على كمال الأدب، فما زاغ بصره، وما طغى، يعني: ما ذهب يميناً ولا شماليّاً، وما تعدى ما أذن له أن يراه.

٤- بيان أن السماء سقف له أبواب تستفتح، ولا يدخل أحد إلا إذا فتح له، وهذا أمر مقطوع به، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا تَنْتَعَ لِمِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَقَّ بَلِيجَ الْجَهَنَّمُ فِي سَمَاءِ الْخَيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، والله عز وجل سمي السماء سقفاً محفوظاً.

٥- وفيه -أيضاً- أن السموات سبع، وأن بين كل سماء وسماء مسافة طويلة، وقد وردت أحاديث تدل على أن بين كل سماء والتي تليها خمس مئة عام.

٦- إثبات كلام الله عز وجل، وأنه يتكلّم بصوت مسموع؛ لأن الله تعالى سمع كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يحاور ربّه، وكان يراجعه.

٧- وفيه رد على الأشاعرة، الذين يقولون: إن الكلام هو المعنى القائم بالنفس! وأن ما سمعه النبي عليه الصلاة والسلام إنما هو أصوات خلقت، تعبر عن كلام الله عز وجل!! ووجه الدلالة: أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أضاف القول إلى الله تعالى، وإذا أضيف القول إلى قائله، صار الصوت قائماً به لا بغيره.

٨ - أن لموسى عليه الصلاة والسلام فضلاً على هذه الأمة، حيث كان سبباً في التخفيف عنهم من خمسين صلاة إلى خمس صلوات.

٩ - إثبات البيت المعمور.

١٠ - إثبات الملائكة.

١١ - إثبات كثرة الملائكة.

١٢ - فضل إبراهيم عليه الصلاة والسلام، حيث كان مُسِنِداً ظهره إلى هذا البيت المعمور بطاعة الله سبحانه وتعالى.

١٣ - وفيه: الْهَمُّ بِالسَّيِّئَةِ وَالْحَسِنَةِ، وقد سبق الكلام عليه.

١٤ - وفيه -أيضاً-: إثبات الحياة، وأن الإنسان يستحيي من كثرة التكرار، فقد تهون عليه المرة، أو المرتان، لكن التكرار يستحيي منه الإنسان، ولا يتحمله. وهل نقول: إن ترتيب الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في السموات يدل على الترتيب في الأفضلية؟

الجواب: أنه لا يدل على التفضيل؛ لأن عيسى عليه الصلاة والسلام في السماء الثانية، وهو أفضل من فوقه إلا موسى وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام.

* * *

١٦٢ - حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَاشِمٍ الْعَبْدِيُّ، حَدَّثَنَا بَهْرُ بْنُ أَسَدٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنَا ثَابِتُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُتِيتُ فَانْطَلَقُوا إِلَيَّ زَمْزَمَ، فَشُرِحَ عَنْ صَدْرِي، ثُمَّ غُسِلَ بِماءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أُنْزَلْتُ».

١٦٢ - حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرْوَحَ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتُ الْبَنَانِيُّ، عَنْ أَنَّسِ بْنِ مَالِكٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُ حِينِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ فَأَخَذَهُ، فَصَرَّعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً؛ فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ؛ ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتَتِ مِنْ ذَهَبٍ يَمَاءَ زَمْرَدَ، ثُمَّ لَأَمَّهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ -يَعْنِي: طِئْرَهُ-؛ فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّداً قَدْ قُتِلَ؛ فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقَعٌ اللَّوْنِ. قَالَ أَنَّسُ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثْرَ ذَلِكَ الْمُخِيطَ فِي صَدْرِهِ.

١٦٢ - حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ سَعِيدِ الْأَبِيلِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي شَلَّيْمَانُ -وَهُوَ ابْنُ بِلَالٍ- قَالَ: حَدَّثَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي تَمِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَّسَ بْنَ مَالِكٍ؛ يُحَدِّثُنَا عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ؛ أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلَاثَةٌ نَفَرُ قَبْلَ أَنْ يُوَحَّى إِلَيْهِ، وَهُوَ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ؛ وَسَاقَ الْحَدِيثَ يُقْصِّيهِ نَحْوَ حَدِيثِ ثَابِتِ الْبَنَانِيِّ، وَقَدَّمَ فِيهِ شَيْئًا وَآخَرَ، وَزَادَ وَنَفَّصَ [١].

[١] وعلى هذا نقول: ما خالف فيه شريك ثابت رحمها الله، فإنه ينظر الأرجح فيؤخذ به، وما زاد عليه بدون مخالفة؛ فإنه يؤخذ بالزيادة.

وهذا صريح في أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسْرِيَ بِهِ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ.

وصرىح -أيضاً- في أن مسجد الكعبة لا يَعُمُّ جميع الحرم، بل هو خاص بالمسجد الذي فيه الكعبة، وهنا نذكر ما قلناه -سابقاً- بأن تضييف الصلاة بمئة ألف خاص بالصلاحة في مسجد الكعبة، كما جاء ذلك في « صحيح مسلم »؛ أنه قال

عليه الصلاة والسلام: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدٍ هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفٍ صَلَاةٌ فِيهَا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ إِلَّا مَسْجِدُ الْكَعْبَةِ»^(١)، وهذا نصٌ واضحٌ يبنّ.

فعلى هذا نقول: إن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسْرِيَ به من المسجد الحرام - كما في القرآن -؛ والمسجد الحرام هنا، هو مسجد الكعبة - كما في هذا الحديث -.

أما ما ورد من أنه أُسْرِيَ به من بيت أم هانئ رضي الله عنها^(٢)، وكذلك في حديث ثابت: أنه شق عن سقف البيت، فقال ابن حجر - في الجمع بينهما -: أنه كان نائماً في الأول في بيت أم هانئ، ثم استيقظ فقام، ونام - بعد أن جاءه الملك - في الحجر في مسجد الكعبة، ثم أُسْرِيَ به من هناك^(٣).

فإن قيل: هل يدلُّ الحديث على جواز مدح الشخص في وجهه، كقوله: مرحباً بالنبي الصالح... إلخ؟

فالجواب: أما (مرحباً) فليست مدحًا، لكنها تحيَّة، أما في النبي الصالح، فقد يكون المراد بذلك المدح، وهو أهلٌ له عليه الصلاة والسلام، وقد يكون المراد بذلك الشهادة له ليزداد طمأنينة، والناس في باب المدح يختلفون، فمنهم من لو قيل له: ما شاء الله! أنت رجل صالح، ومن عباد الله الصالحين، انتفح! وبعض الناس يعرف قدرَ نفسه، فلو قلت له شيئاً، وهو ليس متَّصفاً به، لا يهمه الكلام، فينظر.

* * *

(١) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، رقم (١٣٩٤).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «الأحاديث المثان» (١/٨٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٤٣٢/٢٤).

(٣) «فتح الباري» (٧/٢٠٤).

١٦٣ - وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التُّجِيُّبِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرَّ مُحَمَّدًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي - وَأَنَا بِمَكَّةَ - فَنَزَلَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَرَحَ صَدْرِي، ثُمَّ عَسَلَهُ مِنْ مَاءِ رَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتِي مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِّي حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخْذَ بِيَدِي فَعَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ، فَلَمَّا جِئْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، قَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا: افْتَحْ. قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ. قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَعِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قَالَ: فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ، قَالَ: نَعَمْ، فَفَتَحَ - قَالَ: - فَلَمَّا عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَإِذَا رَجُلٌ عَنْ يَمِينِهِ أَسْوَدَةُ وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوَدَةُ - قَالَ: - فَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ يَمِينِهِ ضَحِكٌ، وَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ شِمَائِلِهِ بَكَى - قَالَ: - فَقَالَ مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْإِبْنِ الصَّالِحِ - قَالَ: - قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ! مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدُمٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَذِهِ الْأَسْوَدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَائِلِهِ نَسْمَ بْنِيَّهُ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالْأَسْوَدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَائِلِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ يَمِينِهِ ضَحِكٌ، وَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ شِمَائِلِهِ بَكَى... [١]

[١] هذا الحديث مختلف في سياقه عن الحديث السابق بعض الشيء.
ففي هذا: أنه لما بلغ السماء الدنيا وجد عن يمين هذا الرجل أسودة، وعن شمائله أسودة، وهذه الأسودة هي نسم بنيه، يعني: أرواحهم ونقوصهم.
إذا نظر إلى الأسودة التي عن يمينه ضحك، وإذا نظر إلى الأسودة التي عن شمائله بكى؛ لأن الأسودة التي عن يمينه، هم أهل الجنة، والآخرون هم أهل النار.
ولا يلزم من هذا أن تكون هذه الأسودة في منزلة واحدة؛ لأنَّ أهل الجنة في الجنة، وهي علية، وأهل النار في النار، وهي سفل.

ولا يمنع أن الإنسان ينظر إلى فوق عن يمين، وأن ينظر أسفل عن شمال، هذا أمر محسوس، مُدرك بالحسن، على أنه يجوز أن الله تعالى رفع الذين في النار، وأنزل الذين في الجنة، يعني: الأرواح في تلك الليلة.

فإن اتسع قلبك لكون آدم ينظر إلى فوق من اليمين، وإلى أسفل من الشمال، فهذا هو الظاهر، وإن لم يتسع فإنه يمكن أن تكون أسودة أهل النار رفعت، وأسودة أهل الجنة أنزلت حتى صارت عن يمين، وعن شمال في مستوى واحد.

وفيه: سرور آدم عليه الصلاة والسلام بيئه إذا كانوا من أهل الجنة، وحزنه إذا كانوا من أهل النار، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل الجنة.

* * *

- قال: - ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية؛ فقال لخازنها: افتح - قال: - فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتحه؛ فقال أنس بن مالك، فذكر أنه وجد في السموات آدم وإدريس وعيسى وموسى وإبراهيم - صلوات الله عليهم أجمعين -، ولم يثبت كيف متأزلمهم، غير أنه ذكر أنه قد وجد آدم عليه السلام في السماء الدنيا، وإبراهيم في السماء السادسة... [١].

[١] ولا شك أن ذكره إبراهيم في السماء السادسة وهم، وسياق الحديث يدل على أن الراوي لم يضبط، ولهذا لم يذكر منازلهم.

والذي لا شك فيه: أن الذي في السادسة هو موسى، أما إبراهيم فإنه في السابعة، وقد تقدّم في الحديث السابق، أنه قد أسنن ظهره إلى البيت المعمور.

* * *

قال: فَلَمَّا مَرَ حِبْرِيلُ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْدِرِيسَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ قَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ - قَالَ: - ثُمَّ مَرَ، قَوْلُتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ - قَالَ: - ثُمَّ مَرَزْتُ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ - قَالَ: - قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مُوسَى - قَالَ: - ثُمَّ مَرَزْتُ بِعِيسَى؛ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ؛ قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ^(١).

[١] غريب كل هذا الشذوذ في المتن، ثم مررت بعيسى بعد ذكر مروره بموسى! وسبق أن السياق الصحيح: أنه في السماء الثانية.

لكن لو أردنا أن نصحّح ونتمحّل لصحة هذا السياق، لقلنا: إن هذا ترتيب ذُكْري، بمعنى أنه لا يلزم أن يكون ما بعد (ثم) - الدالة على الترتيب - على ترتيبه اللغظي، بل هذا ترتيب ذُكْري، وأنشدوا على ذلك قول الشاعر^(١):

قُلْ لِلَّذِي سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ثُمَّ سَادَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ جَدُّهُ

ومعلوم أن سيادة الأب، قبل سيادة الابن، وسيادة الجد قبل سيادة الأب، لكن هذا يقال له: ترتيب ذُكْري.

* * *

- قَالَ: - ثُمَّ مَرَزْتُ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَبِينِ الصَّالِحِ - قَالَ: - قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَ هَذَا إِبْرَاهِيمُ». قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ؛ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسَ وَابْنَ حَبَّةَ الْأَنْصَارِيَّ كَانَا يَقُولَانِ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ

(١) «معاني القرآن» المنسوب للزنجاج (١٠٥ / ١).

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثُمَّ عَرَجَ إِلَيْهِ حَتَّى ظَهَرَتْ لِمُسْتَوَى أَسْمَاعِ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ». قَالَ ابْنُ حَزْمٍ وَأَسْنُ بْنُ مَالِكٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَقَرَضَ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِي حَمْسِينَ صَلَاةً» - قَالَ - فَرَجَعَتْ بِذَلِكَ حَتَّى أَمْرَ بِمُوسَى فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَاذَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ - قَالَ: - قُلْتُ: فَرَضَ عَلَيْهِمْ حَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ لِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَرَاجِعْ رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ! - قَالَ: - فَرَاجِعْ رَبِّي فَوَاضَعَ شَطْرَهَا - قَالَ: - فَرَجَعَتْ إِلَيْيَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخْبَرَتْهُ: قَالَ: رَاجِعْ رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ! - قَالَ: - فَرَاجِعْ رَبِّي؛ فَقَالَ: هِيَ حَمْسٌ وَهِيَ حَمْسُونَ لَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيْ! - قَالَ: - فَرَجَعَتْ إِلَيْيَ مُوسَى؛ فَقَالَ: رَاجِعْ رَبِّكَ! فَقُلْتُ: قَدِ اسْتَحْيِيتُ مِنْ رَبِّي - قَالَ: - ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَيْ جِبْرِيلٍ حَتَّى نَأْتَ سِدْرَةَ الْمُتَهَّى فَغَشِيَهَا الْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ - قَالَ: - ثُمَّ أَدْخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابُ الدُّلُؤُ، وَإِذَا تُرَابُهَا إِسْكُ.

١٦٤ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - لَعْلَهُ قَالَ: - عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ - رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ - قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ إِذْ سَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ: أَحَدُ الْثَّلَاثَةِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، فَأَتَيْتُ فَانْطَلَقَ إِلَيْ، فَأَتَيْتُ بِطَسْتِي مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مِنْ مَاءِ زَمْرَمَ فَشَرَحَ صَدْرِي إِلَى كَذَا وَكَذَا». قَالَ قَتَادَةُ: فَقُلْتُ لِلَّذِي مَعِي: مَا يَعْنِي؟ قَالَ: إِلَى أَسْفَلِ بَطْنِي؛ «فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي فَغَسِلَ بِمَاءِ زَمْرَمَ، ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ، ثُمَّ حُشِيَ إِبَاهَا وَحِكْمَةً، ثُمَّ أُتَيْتُ بِدَابَّةً أَبْيَضَ؛ يُقَالُ لَهُ: الْبُرَاقُ فَوْقَ الْجِنَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَقْعُ خَطُوهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ.

قيل: ومن معك؟ قال: محمد صلى الله عليه وسلم، قيل: وقد بعث إلينه؟ قال: نعم - قال: ففتح لنا، وقال: مرحبا به، ولنعم المحيء جاء - قال: فأتينا على آدم صلى الله عليه وسلم. وساق الحديث بقصته؛ وذكر أنه لقي في السماء الثانية عيسى ويحيى عليهما السلام، وفي الثالثة يوسف، وفي الرابعة إدريس، وفي الخامسة هارون صلى الله عليهم وسلم؛ قال: «نَمَّ انطَلَقْنَا حَتَّى انتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا جَاءَ زُورَتُهُ بَكَى؛ فَنَوَّدِي: مَا يُبَكِّيكَ؟! قَالَ: رَبِّ هَذَا غُلَامَ بَعْثَتْهُ بَعْدِي يَدْخُلُ مِنْ أَمْتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرَ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أَمْتِي - قَالَ: - ثُمَّ انطَلَقْنَا حَتَّى انتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ». وقال في الحديث: وَحَدَّثَ تَبَّيُّنَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ رَأَى أَرْبَعَةً أَنْهَارٍ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا نَهَرٌانِ ظَاهِرَانِ، وَنَهَرٌانِ بَاطِنَانِ؛ فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ! مَا هَذِهِ الْأَنْهَارُ؟! قَالَ: أَمَّا النَّهَرَانِ الْبَاطِنَانِ فَنَهَرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنَّيلُ وَالْفَرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمُعْمُورُ فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمُغْمُورُ، يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ آلَفَ مَلِكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أُتْبِيَتْ بِإِيَّاهُنَّ أَحَدُهُمَا كَمْ وَالآخِرُ لَبَنٌ؛ فَعَرِضَهُ عَلَيَّ فَأَخْرَجْتُ الْلَّبَنَ، فَقِيلَ: أَصَبَّتَ أَصَابَ اللَّهُ بِكَ! أَمْتَكَ عَلَى الْفِطْرَةِ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسُونَ صَلَةً»؛ ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّتَهَا إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ.

١٦٤ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُشْنَى، حَدَّثَنَا مُعاَدُ بْنُ هِشَامَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَنَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَذَكَرَ نَحْوَهُ، وَزَادَ فِيهِ: «فَأَتَيْتُ بِطَسْتَتِ مِنْ ذَهَبٍ مُنْتَلِي حِكْمَةً وَإِيَّانَا،

فَشُقَّ مِنَ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِ الْبَطْنِ، فَغُسِّلَ بِمَاءِ زَمْرَمْ شَمَّ مُلَىَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا»^[١].

[١] هذا -أيضاً- ليس فيه شيء زائد على ما سبق إلا مسألة الأنهر الأربع. وفيه -أيضاً- أنه أُتي باللبن والخمر في السماء، وفي الحديث الأول -في سياقه- أنه أُتي بها عند المسجد الأقصى، فإما أن يكون هذا الحديث -الذي معنا- فيه الترتيب الذُّكرى -كما قلنا-؛ وإما أن يكون أُورى بذلك مرتين، والله أعلم.

وقوله: «أَمَّا النَّهَرَانِ الْبَاطِنَانِ فَنَهَرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنَّيلُ وَالْفُرَاتُ» اختلف العلماء رحمهم الله في معنى هذا، فقيل: إن معناه على التشبيه البليغ، يعني: أنها نهران يُشبهان النيل والفرات، وأنهما ليسا هما النيل والفرات اللذين في الأرض.

وقيل: بل كانوا في ذلك الوقت هناك، ثم نزلتا.

ولكن الأول أقرب إلى المعمول؛ لأن هذين النهرتين موجودان منذ زمن، من قبل المعراج، ومن قبل بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام.

وأما شق صدره صلًى الله عليه وعلى آله وسلم فالأقرب -والله أعلم- أنه كان مرتين: مرة وهو صغير؛ ليتحمل أعباء الرسالة، ومرة عند المعراج؛ ليتحمل ما سيمرُ به من آيات الله عزًّا وجلًّا.

وفي قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام -لما مرَّ عليه النبي صلًى الله عليه وسلم- قال: الابن الصالح، وإدريس عليه الصلاة والسلام قال: الأخ الصالح؛ دليل على أن إدريس ليس من أجداد النبي صلًى الله عليه وسلم؛ ثم إن إدريس عليه الصلاة والسلام من بنى إسرائيل.

وقد وقع في حديث الإسراء ألفاظ مشتهرة، منها: قول جبريل -لما أوصى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى منزلة ترك فيها جبريل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتجاوز النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال جبريل للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هذه منزلة إذا تجاوزتها احترقت، وإن تجاوزتها أنا احترقت.

فالظاهر أن هذا من الروايات الضعيفة، وحديث المراجج فيه أحاديث ضعيفة كثيرة، وفيه حديث المراجج الذي يُنسب إلى ابن عباس رضي الله عنهمَا فيه ما هبَّ ودبَّ، حتى ألفاظ الصحيحين مختلفاً اختلافاً عظيمًا، وسبب ذلك -والله أعلم - أنه كان في مكَّةَ، وكان الناس إذ ذاك ليسوا على جانب كبير من العناية والكتابة، وكما تعلمون أن الحفظ خَوَانَ، ربما ينسى الإنسان، فيزيد أو ينقص.

وأما قول موسى عليه الصلاة والسلام: هذا هو غلام بعثته بعدي، فليس قصده بذلك أنه الغلام الصغير، لكنه غلام بالنسبة للقوة؛ لقوته ونشاطه، أو غلام أراد به مطلق الصغر؛ لأنَّه بالنسبة لموسى صغير، ومن المعلوم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرسَلَ وله أربعون سنة.

وهو لم يقصد النَّيْلَ أبداً، ولا قصد الحَسَدِ، وإنما قصد الغِبطة، كما قال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ...»^(١) الحديث.

* * *

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب الاغباط في العلم والحكمة، رقم (٧٣)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، رقم (٨١٦).

١٦٥ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْتَهَى، وَابْنُ بَشَارٍ؛ قَالَ ابْنُ الْمُنْتَهَى: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ فَتَادَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْعَالِيَّةَ يَقُولُ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَمٍّ تَبَيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَعْنِي: ابْنَ عَبَّاسٍ - قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أُسْرِيَ إِلَيْهِ؛ فَقَالَ: «مُوسَى أَدْمُ طُوَالٌ كَاتَنَهُ مِنْ رِجَالٍ شَنُوَّةً». وَقَالَ: «عِيسَى جَعْدُ مَرْبُوعٌ». وَذَكَرَ مَالِكًا خَازِنَ جَهَنَّمَ، وَذَكَرَ الدَّجَالَ.

١٦٥ - وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ فَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَّةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَمٍّ تَبَيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَرَزَتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ إِلَيْهِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلٌ أَدْمُ طُوَالٌ جَعْدٌ كَاتَنَهُ مِنْ رِجَالٍ شَنُوَّةً، وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرِيمَ مَرْبُوعَ الْخَلْقِ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيْاضِ سَبِطَ الرَّأْسِ»؛ وَأَرَيْتَ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ وَالدَّجَالَ؛ فِي آيَاتِ أَرَاهُنَّ اللَّهَ إِيَّاهُ: «فَلَا تَكُنْ فِي مِرَيْقَةٍ مِّنْ لِقَائِيهِ»؛ قَالَ: كَانَ فَتَادَةُ يُفَسِّرُهَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ لَقِيَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ [١].

[١] ي يريد بذلك قوله تعالى: «وَلَقَدْ أَلَّيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرَيْقَةٍ مِّنْ لِقَائِيهِ» [السجدة: ٢٣]، يعني: من لقاء موسى عليه الصلاة والسلام، وليس بعيد، وهو أحد الأقوال في الآية.

١٦٦ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَسُرِيْجُ بْنُ يُونُسَ؛ قَالَا: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، أَخْبَرَنَا دَاؤُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ أَبِي الْعَالَىَّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِوَادِي الْأَزْرَقِ فَقَالَ: «أَيُّ وَادٍ هَذَا؟»؛ فَقَالُوا: هَذَا وَادِي الْأَزْرَقِ، قَالَ: «كَانَى أَنْظَرُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هَابِطًا مِنَ الشَّيْئَةِ، وَلَهُ جُوَارٌ إِلَى اللَّهِ بِالتَّلِيَّةِ»، ثُمَّ أَتَى عَلَى شَيْئَةَ هَرْشَىٰ؛ فَقَالَ: «أَيُّ شَيْئَةَ هَذِهِ؟»؛ قَالُوا: شَيْئَةَ هَرْشَىٰ، قَالَ: «كَانَى أَنْظَرُ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةً، عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ خَطَاطُمٍ نَاقَيْهِ خُلْبَةٌ، وَهُوَ يُلَبِّيٌّ»، قَالَ ابْنُ حَنْبَلٍ فِي حَدِيثِهِ، قَالَ هُشَيْمٌ: يَعْنِي لِيفاً^[١].

[١] إذن فهذا موسى ويونس عليهما الصلاة والسلام، كلامهما حجّ البيت المعمور، وكلامها يرفع صوته بالتلبية؛ لأن قوله: «جُوَارٌ»، والجوار هو رفع الصوت.

وفي قوله: «عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ» ما يدلّ على أن حجّ السابقين مختلفٌ عن حجنا، هذا هو الظاهر، وقد يكون معذوراً، لا نذرى.

وهل الحديث دليل على النسخ قبل التمكّن؟.

الجواب: هذا النسخ تنسخ للفعل، وليس نسخاً للأجر؛ لأن الله تعالى جعل لنا أجر الخمسين بالفعل، وإنما خفّ عننا، وجعلها خمسة، وأما النسخ قبل التمكّن فلا شك أنه ممكن وجائز.

١٦٦ - وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُتَّنَّى، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ دَاؤَدَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَّةِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَمَرَرْنَا بِوَادِي؛ فَقَالَ: «أَيُّ وَادِي هَذَا؟»؛ فَقَالُوا: وَادِي الْأَزْرَقِ؛ فَقَالَ: «كَانَ أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...» فَذَكَرَ مِنْ لَوْنَهُ وَشَغْرِهِ شَيْئًا لَمْ يَخْفَظُهُ دَاؤَدُ «وَاضِعًا إِصْبَاعَيْهِ فِي أُذْنِيَّهُ لَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللَّهِ بِالْتَّلْبِيَّةِ مَارًّا بِهَذَا الْوَادِي»، قَالَ: لَمْ سِرْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى ثَنَيَّةِ هَذِهِ؟؛ فَقَالَ: «أَيُّ ثَنَيَّةِ هَذِهِ؟»؛ فَقَالُوا: هَرْشَى أَوْ لِفْتُ، فَقَالَ: «كَانَ أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ عَلَيْهِ جُبَّةٌ صُوفٌ خِطَامٌ نَاقَتِهِ لِيفٌ خُلْبَهُ مَارًّا بِهَذَا الْوَادِي مُلَبِّيًا».

١٦٦ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُتَّنَّى، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ ابْنِ عَوْنَ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ فَذَكَرُوا الدَّجَالَ؛ فَقَالَ: إِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ؛ قَالَ: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمْ أَسْمَعْهُ؛ قَالَ ذَاكَ وَلَكِنَّهُ قَالَ: «أَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَانْظُرُوا إِلَيْهِ صَاحِبِكُمْ، وَأَمَّا مُوسَى فَرَجُلٌ آدُمْ جَعْدٌ عَلَى جَمِيلٍ أَحْمَرٍ مَخْطُومٍ بِخُلْبَيْهِ، كَانَ أَنْظُرُ إِلَيْهِ إِذَا انْحَدَرَ فِي الْوَادِي يُلَبِّي»^[١].

[١] قوله صلى الله عليه وسلم: «فَانْظُرُوا إِلَيْ صَاحِبِكُمْ» يعني: النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والمعنى: أن محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم شبيه بإبراهيم عليه الصلاة والسلام.

١٦٧ - حَدَّثَنَا قُتْمِيَّةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ؛ أَخْبَرَنَا الْلَّيْثُ، عَنْ أَبِي الرَّبِيعِ، عَنْ جَابِرٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عُرِضَ عَلَيَّ الْأَكْبَيَاءِ فَإِذَا مُوسَى ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ كَانَهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوَّةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا صَاحِبُكُمْ -يَعْنِي نَفْسَهُ- وَرَأَيْتُ جَبَرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دِحْيَةً». وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ رُمْحٍ: «دِحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةً»^{١١}.

[١] هنا رأى جبريل عليه السلام على غير صورته التي خلق عليها، وأما على صورته التي خلق عليها فله ستُّ مئة جناح قد سدَّ الأفق.

لكنه يأتي -أحياناً- بصورة رجل، كماأتي بصورة الرجل الغريب الذي لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحد من الصحابة رضي الله عنهم؛ وأتي مرّة بصورة دحية الكلبي رضي الله عنه، وهذا من آيات الله عزّ وجلّ، حيث جعل هؤلاء الملائكة يتمثّلون بصورة الرجال.

* * *

١٦٨ - وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ -وَتَقَارَبَا فِي الْلَّفْظِ-؛ قَالَ ابْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا -وَقَالَ عَبْدُ: أَخْبَرَنَا -عَبْدُ الرَّزَاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «جِئَنِ أُشْرِيَّ بِي لَقِيْتُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ»، فَنَعَّتَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِذَا رَجُلٌ -حَسِبْتُهُ قَالَ: -مُضْطَرِّبٌ رَجُلُ الرَّأْسِ كَانَهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوَّةَ

- قال: - ولقيت عيسى، فَعَنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِذَا رَبْعَةُ أَحْمَرُ كَاتَّا خَرَجَ مِنْ دِيْبَاسِ»؛ يَعْنِي: حَمَاماً، قَالَ: «وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَنَا أَشَبْهُ وَلَدِيهِ بِهِ - قَالَ: - فَأَتَيْتُ بِإِنَاءَيْنِ فِي أَحَدِهِمَا لَبَنًّا وَفِي الْآخَرِ حَمْرًا؛ فَقِيلَ لِي: خُذْ أَهْمَمَهَا شِئْتَ، فَأَخَذْتُ الْلَّبَنَ فَشَرَبْتُهُ، فَقَالَ: هُدِيتَ الْفِطْرَةَ - أَوْ: أَصَبَّتَ الْفِطْرَةَ - أَمَّا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْحَمْرَ غَوْتَ أَمْتُكَ»^[١].

[١] وخلاصة ما سبق في الإسراء والمعراج أمور:

أولاً: أنها في ليلة واحدة.

ثانياً: أنها كانا قبل الهجرة.

ثالثاً: أنها من مكة إلى بيت المقدس، ثم العروج إلى السماء.

رابعاً: أنه من نفس المسجد الحرام، مسجد الكعبة.

خامساً: ثم ما حصل في السموات من آنَّه سَلَمَ على مَنْ لاقاه من النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، كلهم يسلِّمُ عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويردون السلام كما في سياقات أحاديث أَخْرَ، ثم يقول بعد رد السلام: مرحباً بالأخ الصالح، والنبي الصالح، إلا ما كان من آدم وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام، فقاولاً: مرحباً بالابن الصالح.

سادساً: فرض الصلوات، وهذا يدلُّ على فضلها من وجوهه:

الأول: أن الله تعالى فرضها على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلا واسطة.

الثاني: أنه تعالى فرضها في أشرف ليلة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي ليلة المعراج.

الثالث: أنه تعالى فرضها في أعلى مكان وصله البشر.

الرابع: أنه تعالى فرضها خمسين صلاة، مما يدلُّ على محبة الله تعالى لاشتغال الناس بها، لو لا أن رحمته سبقت تَعْسِيرِه، حتى خفَّ ذلك بخمس صلوات بالفعل، ولكنها في الميزان خمسون صلاة.

فكل هذا يدلُّ على أن الصلاة ليست كغيرها من أركان الإسلام، إذ لم يوجد شيء من أركان الإسلام بلغ هذا المبلغ، وهذا اختصَّ بأنَّ مَن تركها فهو كافر، كما قال عبدالله بن شقيق رحمه الله وهو من التابعين المشهورين: كان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة.

فإإن قيل: هل وقوع المعراج من هناك دليل على أن بيت المقدس أفضل من الكعبة؟.

فأجلحواب: لا، إنما أُسرى به إلى بيت المقدس؛ لأن غالباً الأنبياء هناك؛ لذلك أُسرى به إلى هناك من أجل أن يصلوا بهم عليه الصلاة والسلام، كما هو في الواقع، والمسجد الأقصى بالإجماع أنه دون المسجد الحرام، ودون المسجد النبوي.

* * *

باب في ذِكْرِ الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَالْمَسِيحِ الدَّجَالِ

١٦٩ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرَانِي لَيْلَةً عِنْدَ الْكَعْبَةِ فَرَأَيْتُ رَجُلًا آدَمَ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ مِنْ آدَمَ الرَّجَالِ، لَهُ لِحَمَّةٌ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ مِنَ الْلَّمَمِ، قَدْ رَجَلَهَا فَهِيَ تَقْطُرُ مَاءً، مُتَكَبِّثًا عَلَى رَجُلَيْنِ -أَوْ عَلَى عَوَاتِقِ رَجُلَيْنِ-؛ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَيْلَ: هَذَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، ثُمَّ إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ جَعَدْ قَطْطِ أَغْوَرِ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّهَا عِنْبَةٌ طَافِيَّةٌ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَيْلَ: هَذَا الْمَسِيحُ الدَّجَالُ».

١٦٩ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمُسَيَّبِيُّ، حَدَّثَنَا أَنَّسُ -يَعْنِي: ابْنَ عِيَاضِ-؛ عَنْ مُوسَى -وَهُوَ: ابْنُ عُقْبَةَ-؛ عَنْ نَافِعٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَيْنَ ظَهَارِ النَّاسِ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ؛ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِأَغْوَرَ، أَلَا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَغْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنْبَةً طَافِيَّةً»؛ قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرَانِي اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمَ كَأَحْسَنِ مَا تَرَى مِنْ آدَمَ الرَّجَالِ تَضَرِبُ لِمَتَهُ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ، رَجِلُ الشَّعْرِ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً، وَاضِعًا يَدِيهِ عَلَى مَنْكِبَيِ رَجُلَيْنِ وَهُوَ بَيْنَهُمَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، وَرَأَيْتُ وَرَاءَهُ رَجُلًا جَعَدَا قَطْطًا أَغْوَرَ عَيْنِ الْيُمْنَى كَأَشْبَهَهُ مَنْ رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ بِابْنِ قَطْنَ، وَاضِعًا يَدِيهِ عَلَى مَنْكِبَيِ رَجُلَيْنِ؛ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ؛ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا الْمَسِيحُ الدَّجَالُ».

١٦٩ - حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا حَنْظَلَةُ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «رَأَيْتُ عِنْدَ الْكَعْبَةِ رَجُلًا آدَمَ سِيطَ الرَّأْسِ

واضِعًا يَدِيهِ عَلَى رَجُلَيْنِ. يَسْكُبُ رَأْسَهُ -أَوْ: يَقْطُرُ رَأْسَهُ-؛ فَسَأَلَتْ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ -أَوْ: الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ؛ لَا تَدْرِي أَيْ ذَلِكَ قَالَ-؛ وَرَأَيْتُ وَرَاءَهُ رَجُلًا أَحْمَرَ جَعْدَ الرَّأْسِ أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى أَشْبَهُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ ابْنَ قَطْنَ؛ فَسَأَلَتْ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: الْمَسِيحُ الدَّجَالُ»^[١].

[١] عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُسَمَّى الْمَسِيحُ، لَقَبُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٧١]، وَالدَّجَالُ الْأَعْوَرُ يُسَمَّى الْمَسِيحُ. وَبَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ: الْمَسِيحُ، وَلَكِنَّ هَذَا لَيْسَ بِصَوَابٍ، وَالصَّوَابُ: الْمَسِيحُ، كَمَا أَمْرَنَا أَنْ نَسْتَعِيدَ بِاللَّهِ مِنْهُ فِي الصَّلَاةِ، وَمِنْ فَتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فَتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ. وَلَكِنَّ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا، فَالْمَسِيحُ الدَّجَالُ سَمِّيَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ يَمْسُحُ الْأَرْضَ، وَيَسِيرُ فِيهَا كَالرِّيحِ، بَيْنَمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَمْسُحُ ذَا عَاهَةً إِلَّا بِرَيْءٍ.

وَتَقْدِيمُ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ: أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رَأَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَطْوُفُ، وَرَأَى وَرَاءَهُ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ، وَهُنَا إِشْكَالٌ، وَهُوَ: أَنَّهُ قَدْ ثَبِيتَ أَنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ لَا يَدْخُلُ مَكَةَ وَلَا الْمَدِينَةَ، وَرَؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ، فَكَيْفَ يَرَى الْمَسِيحُ الدَّجَالَ خَلْفَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟

وَالْجَوابُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَحَدٍ وَجَهِينَ:

الوجه الأول: أَنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ لَا يَدْخُلُ مَكَةَ وَلَا الْمَدِينَةَ إِذَا أُرْسَلَ وَبُعْثَ، أَمَا قَبْلَ ذَلِكَ فَقَدْ يَكُونُ.

الوجه الثاني: أَنْ يَقَالُ: الرَّؤْيَا -وَإِنْ كَانَتْ حَقًّا إِذَا كَانَتْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ- لِكُنْهِهَا لَيْسَ كَالْيِقْظَةِ، بَدْلِيلُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبِّهِ فِي النَّامِ،

ولا يمكن أن يراه في اليقظة، وهذا لما سئل: هل رأه في اليقظة؟ قال: «نُورٌ أَتَى أَرَاهُ»، فيفرق بين الرؤيا وبين اليقظة، باعتبار واقع اليقظة، فليس كواقع الرؤيا.

ومن المعلوم أنَّ الدجال ليس موجوداً من ذلك الوقت، ووصف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الوصف، مما يزيد الإنسان شكًا في حديث الجسasse^(١)؛ لأنَّ وصفه في حديث الجسasse لا يطابق هذا الوصف، وحديث الجسasse نحن في شك منه، والعلم عند الله، هل يثبت أو لا يثبت؟.

ولقد أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه «لَا يُبْقَى عَلَى رَأْسِ مِئَةٍ سَنَةٍ وَعَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ مِنْ هُوَ عَلَيْهَا الْيَوْمَ»^(٢).

فكل الذين على وجه الأرض - حين حديث الرسول عليه الصلاة والسلام - لم يبقوا على رأس مئة سنة.

وفي الحديث أنَّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ فرقاً يتبيَّنُ به أنَّ الدجال ليس بِإِلَهٍ، وهو أنه أَعْوَرُ العِينِ الْيُمْنِيِّ.

فإذا قال قائل: هناك فروقٌ أَعْظَمُ من هذا، منها: أنه بشر، وأنَّه حادث بعد أن لم يكن، قابل للفناء، وما أشبه ذلك.

فنتقول: الجواب على ذلك من وجهين:

الوجه الأول: أنَّ الأمور العظام - إذا حدثت - أَدْهَشتَ الإنسان، ولم يتمكن من استعمال العقل في الاستدلال بها، والعَوْرُ حسي وهو دليل حسي واضح،

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن، باب قصة الجسasse، رقم (٢٩٤٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب مواقف الصلاة، باب ذكر العشاء والعتمة ومن رأها واسعاً، رقم (٥٦٤)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ: «لَا تَأْتِي مِنْهُ...»، رقم (٢٥٣٧).

لا يحتاج إلى تأمل، وهذا أحواله الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى هذه العلامة؛ لأنها لا تحتاج إلى تأمل، أو إلى تفكير.

الوجه الثاني: أن العور نقص، وإذا كان نقصاً، كان أدلًّا على أنه ليس بِإِلَهٍ.
ولقد استدلَّ أهل السُّنَّةَ بهذا الحديث على أنَّ الرَّبَّ جَلَّ وَعَلَا له عينان اثنتان فقط، وليس له أكثر من ذلك، قالوا: لأنَّه لو كان له أكثر من اثنين، لبيَّنَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

* * *

١٧٠ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ عُقِيلٍ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ جَابِرٍ بْنِ عَبْدِ اللهِ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّمَا كَذَّبَنِي قَرِيبُشُ قُمْتُ فِي الْجَبَرِ فَجَلَّ اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَطَفَقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ».

١٧١ - حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «بَيْمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أَطْوُفُ بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمْ سَبِطُ الشَّعْرِ يَبْنَ رَجُلَيْنِ يَنْطِفُ رَأْسُهُ مَاءً -أَوْ: مِهْرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً- قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا ابْنُ مَرْيَمَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ أَتَتَقْتُ فَإِذَا رَجُلٌ أَخْمَرَ جَسِيمُهُ جَعْدُ الرَّأْسِ أَغْوَرَ الْعَيْنِ كَأَنَّ عَيْنَهُ طَافِيَّةٌ؛ قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الدَّجَالُ؛ أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَّهَا ابْنُ قَطَنِ»^[١].

[١] هذا وصف قَلَّ أن تجده فيمن وصف الدجال، وهو قوله: «أَخْمَرَ جَسِيمُهُ»، وإنما هو رجل يوصف بأنه رجل قَطِطٌ، وأنه أَغْوَرُ العين، وما أشبه ذلك.

١٧٢ - وَحَدَّثَنِي رُهَيْرُ بْنُ حَزْبٍ، حَدَّثَنَا حُجَيْنُ بْنُ الْمُتَّنِّي، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزَ - وَهُوَ: ابْنُ أَبِي سَلَمَةَ -، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَضْلِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْجِبْرِ وَقُرِيشًا تَسْأَلُنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُشْتِهِا؛ فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ»؛ قَالَ: فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرَبَ جَعْدًا كَانَهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوَّةَ، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبَ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةَ بْنُ مَسْعُودٍ التَّقِيِّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ - فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمْتَهُمْ فَتَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلَاةِ؛ قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ هَذَا مَالِكُ صَاحِبُ النَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَّقَتُ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ»^[١].

[١] في هذا الحديث من الفوائد:

- ١ - أنه آية من آيات الله عزَّ وجلَّ، حيث رفع الله تعالى بيت المقدس للنبي صَلَّى الله عليه وعلى آله وسلمَ، وجعل ينظر إليه، ويصفه وهو ينظر إليه.
- ٢ - وفيه شاهد لقوله صَلَّى الله عليه وسلمَ: «وَاعْلَمَ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّابِرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ»^(١)، فكلما اشتدت الْكُرْبَةُ، واشتد تعلقك بالله عزَّ وجلَّ فُرِجَتْ، وأما إذا اشتدت الْكُرْبَةُ، وجعلت تفكّر، أين أذهب؟! إلى كذا، إلى فلان، إلى فلان؟ فإنك تُوكَلُ إليه، أما إذا كنت تَفْرَغُ إلى الله، فاعلم أنَّ الفرج قريب.

(١) تقدم تخرّيجه (ص: ٣٣٨).

وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ الْيَوْمَ إِذَا اشْتَدَتْ بِهِمُ الْكُرْبَ، قَالَ: أَينَ أَذْهَبْ؟ فَيَذْهَبُ -
مَثَلًا - لِفَلَانٍ يَسْتَجْدِيهِ، أَوْ يَذْهَبُ إِلَى الْمُسْتَشْفَى الْفَلَانِي يَعَالِجُ فِيهِ، وَمَا أَشْبَهُ ذَلِكَ،
لَكِنْ لَوْ أَنْزَلَهَا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَفَعَ الْأُمْرَ إِلَيْهِ؛ يَسِّرْ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ الْأُمْرُ، وَلَا يَعْنِي
هَذَا عَدْمُ فَعْلِ الْأَسْبَابِ بَلْ يَفْعُلُهَا، وَلَكِنْ لَا يَرَى أَنَّ ذَلِكَ السَّبَبُ هُوَ الَّذِي يَزِيلُ
كُرْبَتَهُ، بَلْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَيْسِرْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا حَصَّلَ.

٣- أَنَّ الْكُرْبَ تَلْحُقُ الْأَنْبِيَاءَ، كَمَا لَحَقَتِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ
الْكُرْبَةِ الْعَظِيمَةِ، حِينَ جَعَلُوهَا يَتَحَدَّوْنَهُ، وَيَسْأَلُونَهُ عَنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ؛ لِأَنَّهُمْ كَذَبُوهُ،
وَقَالُوا: كَيْفَ تَذَهَّبُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ تَرْجِعُ فِي لِيْلَتِكَ، هَذَا لَيْسَ
بِصَحِيحٍ! وَهَذَا كَذَبٌ! وَاتَّخَذُوا مِنْ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ الَّتِي يَتَحَدَّثُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنْهَا، سَلَّمًا لِتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ، وَقَالُوا: هَذَا مُحَمَّدٌ يَتَحَدَّثُ بِهَذَا الْكَلَامِ
فَهُوَ إِمَّا كَاذِبٌ، إِمَّا مَجْنُونٌ! وَذَهَبُوا إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالُوا: إِنَّ
صَاحِبَكَ يَتَحَدَّثُ بِكَذَا وَكَذَا، قَالَ: إِنَّ كَانَ يَتَحَدَّثُ بِذَلِكَ فَهُوَ صَادِقٌ، وَمِنْ ذَلِكَ
الْيَوْمِ سَمِّيَ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٤- وَفِيهِ -أيًضاً- دَلِيلٌ عَلَى تَشْبِيهِ الْغَائِبِ بِالْحَاضِرِ الْمُشَاهِدِ، وَأَنَّهُ مِنْ
أَسَالِيبِ الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ إِنَّ الْغَرْضَ مِنْ ذَلِكَ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- هُوَ التَّوْكِيدُ، فَإِنَّ
الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَأَى هُؤُلَاءِ مُؤَكِّدًا، كَمَا يَرَى هُؤُلَاءِ الَّذِينَ
شَبَهُهُمْ بِهِمْ.

وَهَذَا -أَحَيَانًا- يَعْتَمِدُ الْإِنْسَانُ سَبَبًا مَعْلُومًا يَحْصُلُ بِهِ الْمَطْلُوبُ مَعَهُ، أَوْ مَعْ
غَيْرِهِ، ثُمَّ لَا يَحْصُلُ، فَلَا بَدَّ أَنْ تَعْمَلُ بِالْأَسَابِبِ الشَّرِعِيَّةِ، وَلَا بَدَّ أَنْ تَعْتَقِدُ أَنَّ هَذِهِ
الْأَسَابِبُ إِنَّمَا كَانَتْ أَسَابِبًا بِتَقْدِيرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَالْاعْتِمَادُ إِذْنَ عَلَى اللَّهِ، مَادِمْتُ
أَعْرِفُ أَنَّ هَذَا السَّبَبُ لَوْلَا اللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ سَبَبًا، فَقَدْ اعْتَمَدْتُ عَلَى اللَّهِ.

رأيتم النار؟! هي سبب للإحراق لا شك، ولما ألقى إبراهيم عليه الصلاة والسلام فيها، وقال: حسبنا الله ونعم الوكيل، صارت برداً وسلاماً، قال الله تعالى لها: ﴿كُوْفِيْ بَرْدَكَ وَسَلَمَّا﴾ [الأنياء: ٦٩]، فكانت برداً وسلاماً، قال العلماء رحمهم الله: لو لم يقل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَسَلَمَّا﴾ ل كانت برداً تهلكه، لكن الله تعالى قال: ﴿كُوْفِيْ بَرْدَكَ وَسَلَمَّا﴾ فصار كأنه عند (مُكْيَّف)، بل أعظم.

والحاصل: أن الاعتماد على الأسباب -مع نسيان المسبب- هذا غلط، لكن الاعتماد على الأسباب على أن الذي جعلها سبباً هو الله، وأن الله عزَّ وجلَ قادر على أن لا تكون سبباً، وأن لا تنفع، هذا لا بأس به، لهذا كان الرسول صلَّى الله عليه وعلى آله وسلم سيد المتكلمين، وكان يفعل الأسباب الواقعية، والأسباب الدافعة، يعني: سببٌ بعد وجود الشيء، أو قبل وجود الشيء.

* * *

باب في ذكر سدرة المنشئ

١٧٣ - وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ. (ح) وَحَدَّثَنَا أَبْنُ نُعْمَى، وَرَزِّهِيرُ بْنُ حَرْبٍ؛ جَيْعَانًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُعْمَى - وَالْفَاظُهُمُ مُتَقَارِبَةٌ -؛ قَالَ أَبْنُ نُعْمَى: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ، عَنْ الرُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ، عَنْ طَلْحَةَ، عَنْ مُرَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَتَّهِي مَا يُرْجَعُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَتَّهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا؛ قَالَ: ﴿لَمَّا يَعْشَى السِّدْرَةُ مَا يَعْشَى﴾؛ قَالَ: فَرَاشُ مِنْ ذَهَبٍ؛ قَالَ فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةً: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا مُمْقَحِّمًا^[١].

[١] قوله: «وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ» الظاهر أن هذا وهم من الرواية، والصواب: أنها في السماء السابعة.

وأعطي صلي الله عليه وسلم هذه الثلاث؛ لأنها من أفضل ما أعطي الرسول صلي الله عليه وعلى آله وسلم، وهي: الصلوات الخمس، أعطيها خمسين صلاة، ثم خفت إلى خمس بالفعل، وهي خمسون في الميزان.

وأعطي خواتم سورة البقرة، ويشير إلى قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا أَكَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذنَا إِنَّ شَيْئًا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَعْلَمْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَكَمْتُهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَعْلَمْنَا مَا لَا طَافَةَ لَنَا بِهِ، وَأَعْفُ عَنَّا وَأَغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

آلَّا كَفِيرٌ ﴿ [البقرة: ٢٨٦] ﴾، عشر جمل كلها أُعطيتانا، والحمد لله، ما دعونا بواحدة منها إلا أُعطيتانا إياها، وهذا قال: أُعطي خواتيم سورة البقرة.

وقوله تعالى: **﴿ وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا ﴾** أي: من الآصار التي حُلت على من قبلنا، ومن ذلك أن من شروط التوبه في قصة قوم موسى عليه الصلاة والسلام خاصة: أن يقتلوا أنفسهم، بمعنى أن كل واحد يأخذ سكيناً، ويقتل صاحبه، فرضي عفوية، وليس عن قصد، وهذا قال بعض المفسرين: أن الله تعالى ألقى عليهم ظلمةً، وأمر كل واحد أن ينطق، ويقتل من أمامه، وهذه لا شك أنها مخنة عظيمة وشديدة.

وكذلك ذكروا: أن الواحد منهم إذا أذنب يصبح وقد كتب ذنبه على باب بيته، وهذه -أيضاً- فضيحة، وهذه الأمة -والحمد لله- ستر الله عليها.

كذلك -أيضاً- بظلمهم، حرم الله عليهم طيبات أحللت لهم؛ قال تعالى: **﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْفَنَمِ حَرَمَنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا ﴾** [الأنعام: ١٤٦]، هذا -والحمد لله- في شريعتنا ممتنع، لم يحرم علينا شيء بسبب ذنبنا شرعاً، لكن قد يحرم علينا قدرًا بسبب الذنوب، كما لو مرض شخص، وقيل له: تجنب أكل اللحم والتمر -وهما من الطيبات- فإذا كان يضره إذا أكل؛ صار منوعاً منه قدرًا، يعني: أن الله قدّر له هذا المرض، ليمتنع من ذلك، وإن كان مأموريًا شرعاً بتجنب ما يضره.

الثالثة -في هذا الحديث-: **«وَغُفرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِإِلَهٍ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُؤْمِنَاتُ**» يعني: الذنوب التي ت quam الإِيمَان في الإِيمَان، ثم في النار، إذا كان لم يشرك.

ولهذا من خصائص هذه الأمة: أنها يغفر لها باجتناب الشرك، وتحقيق التوحيد.

وفي هذا دليل على فضيلة تحقيق التوحيد بأنواعه الثلاثة: توحيد الله عزّ وجلّ في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

ونود أن ننبه على أن ما ذكره النووي رحمه الله من الجمع بين رؤية سدرة المنتهى في السماء السادسة، وما جاء من أنها في السابعة، من أن أصلها في السادسة، وفرعها في السابعة فيقال: الحديث الأصح من هذا أنها في السابعة، والمعروف عند العلماء رحهم الله -في المصطلح- أنه إذا خالف الرواية من هو أرجح منه، فروايتها شاذة.

* * *

١٧٤ - وَحَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ الزَّهْرَانِيُّ، حَدَّثَنَا عَبَادُ -وَهُوَ: ابْنُ الْعَوَامِ-؛ حَدَّثَنَا الشَّيْبَانِيُّ قَالَ: سَأَلْتُ زِرَّ بْنَ حُبَيْشَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَكَانَ قَاتِلُهُمْ فَوْسَيْنٌ أَوْ أَدْنَى﴾، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ مَسْعُودٍ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِئَةً جَنَاحًا.

١٧٤ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عَيَّاثَ، عَنِ الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ زِرَّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ قَالَ: رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ سِتُّ مِئَةً جَنَاحًا.

١٧٤ - حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعاذِ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سُلَيْمَانَ الشَّيْبَانِيِّ، سَمِعَ زِرَّ بْنَ حُبَيْشَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ إِيمَنِ رَبِّهِ الْكُبُرَى﴾ قَالَ: رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ، لَهُ سِتُّ مِئَةً جَنَاحًا^[١].

[١] هذا يشير إلى الآية -التي في سورة النجم- قال الله تعالى: ﴿وَالْتَّاجِرُ إِذَا هَوَى﴾ ① ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُفَّرٍ وَمَا غَوَى﴾ [النجم: ٢-١]؛ أقسم الله تعالى بالنجم إذا هوى؛

لأن النجم إذا هو احترق الشياطين، إذ إنه تنطلق منه الشهب، فتحترق الشياطين كما في قوله تعالى: ﴿فَأَنْتَعُمْ شَهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُوْرَ وَمَا عَوَى﴾ أي: ما ضلَّ جهلاً، وما غَوَى سَفَهَا، فهو عليه الصلاة والسلام يتكلم عن علم، ويعمل برشد، صلوات الله وسلامه عليه؛ فيما ضلَّ لما عنده من العلم، وما غوى لما عنده من الرشد؛ لأن الغَيَّر ضد الرشد، قال تعالى: ﴿فَدَّ بَيْنَ الرُّشُدَيْنَ مِنَ الْغَيْرِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فالضلال ضد العلم، والضلال هو الجهل.

وقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُوْرَ وَمَا عَوَى﴾ فيه توبیخ لقريش، ووجه التوبیخ: أنه صاحبهم الذي يعرفون صدقه، ويعرفون أصله، ونسبة، وأحواله، فكيف يضللوه؟.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْمَوْى﴾ أي: لا يتكلم عن هُوَيْ، وإنما يتكلم عن قصد الخير، وغيره من الناس يتكلم بهذا وبهذا.

وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ يُراد به القرآن على القول الراجح، وليس المراد به السنة.

وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ أي: ما ينطق به صلٰ الله عليه وسلم - مما يوحى إليه - وحيٌ يُوحَى.

وقوله: ﴿عَلَمَهُ شَدِيدُ الْفَوَى﴾ وهو جبريل عليه الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿ذِي فُوْرَةٍ عَنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التکویر: ٢٠].

وقوله: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَآسَتَوْيٍ﴾ ذو مِرَّة: أي هيئة حسنة؛ فاستوى، أي: علا.

وقوله: «وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى» ارتفع حتى صار في الأفق.

وقوله: «ثُمَّ دَنَا فَنَدَلَكَ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» دنا، فيها قولان للعلماء رحهم الله: منهم من يقول: إن الضمير يعود على الرب عز وجل، ومنهم من يقول: إن الضمير يعود على جبريل.

والصحيح المتعين: أنه يعود على جبريل عليه الصلاة والسلام.

وقوله: «ثُمَّ دَنَا فَنَدَلَكَ ٩ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» هذا إشارة إلى قربه.

وقوله سبحانه: «أَوْ أَدْنَى» مثُلُها في قوله تعالى: «وَأَرْسَلْنَا إِلَيْكَ مِائَةً أَلْفِ أَوْ يَزِيدُونَ»^(١) [الصفات: ١٤٧]، يعني: بل هو أدنى.

وقوله: «فَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَرَى» [النجم: ١٠]؛ فأوحى إلى عبده، أي: أوحى جبريل إلى عبده، أي: إلى عبد الله ما أوحى.

وقوله: «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ١١ أَفَتَنْرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ١٢ وَلَقَدْ رَأَهُ نَزَلَهُ أُخْرَى» رأى جبريل - وليس معناه أنه: رأى الله - رأه نزلة أخرى، أي: مرة ثانية، رأه نازلاً من فوق عند سدرة المنتهى، أي في ذلك المكان العالى.

وقوله: «عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَلَوَى ١٣ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى» يغطيها ما يغطيها من الحسن والبهاء، والأمور العجيبة.

إذا قال قائل: قوله تعالى: «إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى» لم تستفد شيئاً من صلة الموصول؛ لأن (يغشى) الأولى، هي (يغشى) الثانية؟!

فنقول: هذا الإبهام يُراد به التعظيم والتفحيم، كقوله تعالى: «فَغَشَّيْهِمْ مِنَ النَّجْمِ

(١) ينظر: تفسير سورة الصافات لفضيلة شيخنا العلامة رحمه الله (ص ٣١٤).

مَا غَشِيْهِمْ ﴿ طه: ٧٨ ﴾، أي: شيء عظيم.

وقوله: **مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى** أي: أن بصر الرسول صلّى الله عليه وعلى آله وسلم (ما زاغ)، أي: ما زَلَّ، (وما طغى)، أي: اعتدى، فلم ينظر إلى ما لم يؤذن له في نظره، وهذا من كمال أدبه عليه الصلاة والسلام.

ثم قال تعالى: **لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكَبْرَى** الكبرى، قيل: إنها مفعول به لـ(رأى)، وال الصحيح: أنها صفة لـ(آيات)، أي: رأى من الآيات الكبرى.

والفرق بين القولين، أننا إذا قلنا: إن الكبرى مفعول ثانٍ، صار المعنى: لقد رأى الكبرى من آيات ربِّه، وإذا قلنا: إن الكبرى صفة لآيات، صار معناها: رأى من الآيات الكبرى، ولكن ليست هي أكبر كل شيء.

والحاصل: أنَّ الذي دنا فتدىء، وأنَّ الذي رأَاه النبي عليه الصلاة والسلام هو جبريل عليه الصلاة والسلام، هذا هو القول الراجح المتعين، وإن كان بعض العلماء رحهم الله يرى أنَّ الله تعالى هو الذي دنا، وتدىء وقرب من الرسول صلَّى الله عليه وعلى آله وسلم، وأنَّ الرسول رأَاه، لكنه قول ضعيف لا يُسعفه السياق، ولا تُسعفه الأحاديث الثابتة عن النبي عليه الصلاة والسلام، ففي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سأله النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلم: هل رأيت ربَّك؟ فقال: «رَأَيْتُ نُورًا»، وفي لفظ قال: «نُورٌ أَكَيْ أَرَاهُ»^(١)؛ لأنَّ الله عزَّ وجَلَّ -مع أنه نور سبحانه وتعالى- متحجب بمحجوب من الأنوار عظيمة، فهو سبحانه وتعالى لا يُرى، ولا يتمكن أحد أن يرَاه في الدنيا أبداً في اليقظة، لكن في المنام ربما يرَاه، كما رأَاه النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلم.

(١) سيفي شرح الحديث برقم (١٧٨).